ماذا قدمنا للطفولة

فؤاد عبدالقادر

● الأطفال فلذات الأكباد والمستقبل المشرق .. ماذا أعددنا لهم في هذا العصر المزعج والمقرف.

هذه الطفولة البريئة .. ماهي الأسلحة التي يمكن أن يواجهوا بها المستقبل.

ماذا قدمنا لهم من وسائل التعليم والتثقيف .. كم مدرسة متخصصة في تعليم الأطفال .. كم كادر متخصص في التعليم أو في أدب الأطفال أو الموسيقى؟

أين موقع الطفولة في برنامج وزارة الثقافة والسياحة في صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م؟

حتى اللحظة لم تقدم للطفولة في التعليم والثقافة أي شيء يذكر للأسف نحن جميعنا مشغولون بأمور أخرى بعيدة كل البعد عن اهتمامات الأطفال .. وهم عماد المستقبل والوطن؟

صحف ومجلات نسائية وأخرى عن السياسة .. ولا توجد صحيفة أو مجلة .. متخصصة عن الطفولة .. لامراكز دراسية .. تدرس احتياجات الأطفال .. الجوانب النفسية والتربوية .. أشياء كثيرة تتعلق بالمستقبل وبالأجيال.

اشتراها في مزاد علني بالنرويج بـ٨٠٠ دولار:

لوحة تشكيلية تحدث ثراءً غير متوقع لصاحبها

■،، قصص صناعة الثراء كثيرة يحكيها الأغنياء لأولادهم بقصد توريثهم حب العمل وبذل الجهد واستنفاد الوسع في صناعة الأمجاد. لكنها في بعض الأحيان قصص طريفة تحكي للدلالة على الثراء من غير بذل للجهد أو كد للجسد، ومنها قصة منظم معارض الفن التشكيلي رايدار أوسن الذي ساقه حظه إلى طريق الثراء الفاحش من غير قصد منه ولا قوة.

فقد اشترى أوسن لوحة بستة آلاف كرون (٨٠٠ دولار) في مزاد علني بالنرويج ليفاجأ بعد ٢٣ عاماً من شرائها بأنها تساوي ٤٠٠ مليون كرون نحو (٥ ,٧٥ مليون دولار).

ويذكر أوسن أنه اشترى اللوحة الفنية في المزاد العلني بمدينة بارغن- ثاني أكبر مدن النرويج بعد العاصمة أوسلو- عام ١٩٨١م بستة آلاف كرون. . وأضاف أنه احتفظ بها في بيته ولم يعرضها للبيع طوال الفترة الماضية لإعجابه بها، ولم يكن يعلم بأنها تشكل ثروة فنية ومادية إلا بعد أن ساق إليه الحظ أحد الخبراء في الفن التشكيلي وهو أمريكي الجنسية كان قد استعان به أحد الأثرياء الأمريكيين في شراء بعض اللوحات الفنية للرسام النرويجي أود نيردروم الذي ولد عام ١٩٤٤م بالنرويج ولا يزال على قيد الحياة.

وأوضح أوسن في حديث صحفي ان الخبير التشكيلي الأمريكي اجتمع به في البيت كي يتفقا على صفقة البيع لبعض لوحات نيردروم، إلا أن اللوحة الفنية المعلقة على حائط بيته شدت انتباهه إلى درجة أنه أوقف الصفقة لمعاينة اللوحة، ليكتشف أنها للرسام الإيطالي الشهير تيزيانو فيسيليو (١٤٩٠-١٥٧٦م) (Tiziano Vecellio) وتحمل اللوحة اسم "فلورا".

ودهش أوسن عندما أثبت له الخبير الأمريكي أن اللوحة ترجع للرسام الشهير تيزيانو، وأضاف له الخبير أن هذه اللوحة قد تكون الثانية للفنان التشكيلي الشهير، حيث تقبع الأولى في متحف "فرنسا" بإيطاليا، ومما زاد من دهشة أوسن طلب الخبير شراء اللوحة بمبلغ ٤٠٠ مليون كرون.

وقال أوسن ان الخبير قام بالاتصال به بعد مشاورات عدة مع المليونير الأمريكي لشراء اللوحة، ودفع له مقدم شراء قدرة ٦٧٠ الف دولار، كما دفع ١,٣٤ مليون دولار غير مسترجعة للسماح له بأخذها وعرضها على جهات فنية للمعاينة، مؤكداً أنها ستخضع لفحصين الأول لجهات فنية وتشكيلية لمعرفة عمر اللوحة، والثانية لتنسيب اللوحة لصاحبها.

وأكد أوسن أن الاختبار الأول للوحة بمعاينة عمرها قد نجح حيث أكدت الجهات الفنية بعد عدة اختبارات أجريت على اللوحة والألوان المستخدمة أن عمرها لا يقل عن ٤٠٠ سنة وهو ما يعزز عودتها إلى الرسام تيزيانو، واللوحة الآن بانتظار الاختبار الثاني لتحديد هوية صاحبها.

رأي الاختصاصيين في اللوحة

ومن جانبه أشار فرانسويس هانسين باور رئيس قسم الفن التشكيلي في المتحف الوطن النرويجي إلى أن الموضوع برمته شيق للمتابعة ومعرفة رأي اللجنة الذي ستعرض عليها العمل خارج النرويج، وأضاف لوسائل الإعلام النرويجية أنه ليس من المستبعد حدوث تلك الحالات التي أطلق عليها "المصادفة" موكداً أن الجهات الفنية النرويجية رفضت تقييم العمل الفني واسناد اللوحة لصاحبها رغم قدرتها وكفاءتها على عمل ذلك ولكن كي تتخذ جهة خارجية أمر المصادقة على اللوحة.

وأوضح هانسين أنه على الرغم من أن المؤشرات الأولية تشير إلى رجوع اللوحة إلى الرسام العالمي تيزيانو، فإنه يتعين على الجهات الفنية المختصة ان تعتمد اللوحة وتصادق نسبتها إلى تيزيانو.

وأكد البروفيسور ماغني مالمانكر اختصاص الفن التشكيلي إمكانية أن تكون اللوحة من أعمال الفنان العالمي تيزيانو.

واضاف: أن الفنانين في تلك العصور كانوا كثيري الترحال والتجوال، وأثبت عملياً وفنياً قيام بعض الفنانين العالميين بإعادة رسم لوحات لاقت نجاحاً كبيراً في بلد قاموا بزيارته سابقاً، علاوة على أن الفنان تيزيانو كان كثير السفر ورسم العديد من اللوحات وليس من المستغرب ان تكون لوحة "فلورا" هي العمل الثاني له في بلد آخر كان قد زاره بعد نجاح رسمها في المرة الأولى، ولكن الفصل في المسألة يحتاج إلى قرار اللجنة الفنية لتنسيب اللوحة لصاحبها.

محمود مختار .. رائد فن النحت الحديث

صاحب دعوة ورائد طريق لايقف عند حد آثاره الفنية

حافظ على أصالته، رغم التيارات الفنية العاتية

استطاع مختار أن يمدَّ الفن التشكيلي إلى كثير من مظاهر الحياة

الثورة/القاهرة

■،، على شاطئ النيل بالجيزة يقف قصره، الذي حولته الحكومة المصرية إلى متحف باسمه، شامخاً ليدل على عظمة هذا الفنان ورهافة حسه .. كان أقرب في أعماله إلى الطبيعة المصرية الصميمة، رغم تلقيه علوم الفن في فرنسا ونبوغه في فن النحت هناك .. لقد ظلت روحه العملية عالقة بالحرية، فأبدع، لأ نه أخلص لفنه وتفرغ له تماماً، إنه المثال محمود مختار الذي مضى بإرادة واعية ومتحررة باحثاً عن شخصيته الفنية التي امتدت بجذورها إلى أصولها الحضارية القديمة، ليتألق فن النحت المصري الحديث، مواكباً روح العصر، مستوعباً للثقافة الحديثة، منتمياً إلى مجتمعه، مرتبطاً ببيئته، متجاوباً مع الأحداث الوطنية والقومية في البلاد..

خلال إطار من الزمن .. يبدأ في نهاية القرن التاسع عشر وبالتحديد في ١٠ مايو سنة ١٨٩١م ويختتم في ثلاثينيات القرن العشرين في ١٧ مارس ١٩٣٤م عاش محمود مختار عمره القصير، ولكنه على قصره احتوى حياة عميقة الأبعاد تخطت زمنها المحدود ومازالت تعيش على هذه الأرض عمراً لا يحده الزمن، وسر هذا الاستمرار والقدرة على التجدد في حياته وحياة كل عبقري هو فيما يتركه من أثر.. وما يحدثه في حياة بلده أو في حياة الإنسانية وما تحمله أعماله من مقومات البقاء، ومن هذه الجوانب كان مختار مثالاً وكان رمزاً لعظمة مصرية سواء بشخصه أو بأعماله أو بفنه.

ولما كان منطق التاريخ يشير إلى أنه لا بد لكل دعوة جديدة من رائد ولا بد لكل نهضة في بدايتها من أشخاص تجتمع فيهم مواهب وخصائص غير عادية، روح الثورة وعاطفة مجتاحة تقتحم السدود .. تساندها إرادة صلبة وقدرة على هبة النفس من أجل فكره وسياج من شجاعة الرأي والاعتداد بالذات وطاقات من الخيال تنمي هذه الخصائص وتكون للنفس كالقوى المحركة تولد فيها روح الإبداع.. وقد اجتمعت في شخص مختار هذه الخصائص وهباته، لأن يكون رائداً للنهضة الفنية في بلاده فقد تحمل عناء المقاومة والتضحية والقى عليه عبء معارك خاضها بجيله ولأجيال تتبعه حتى يمهد الطريق وهيأ الأرض للإزدهار والنماء ولذلك فقد حظى بما يناله الرواد من فخر وتقدير .. في حياته كان رمزاً لقدرة الفنان على الاحتفاظ بأصالته مهما حلم بفكره وجاب الآفاق ما دامت أقدامه ملتصقة بأرض بلاده.

ولد مختار في قرية طنبارة من قرى المحلة الكبرى لأب هو عمدة هذه القرية «الشيخ إبراهيم العيسوي» ثم هجرها إلى قرية «نشا» من قرى الدلتا المجاورة للمنصورة، عاش في القرية فلاحاً صغيراً مجهولاً يصنع بأحلام الطفولة تماثيله الطينية على شاطئ الترعة حتى ساقته إلى القاهرة ليلتقي بخط قدره بعد حين.. ففي رحلة كفاحه منذ خرج من القرية حتى أصبح رائداً من رواد وطنه، دروس عميقة الدلالة، فهو أحد القلائل الذين حققوا لهذا البلد ذاتيته القومية وفتحوا له معالم الطريق وأصبحوا جزءاً من وجوده ووجدانه.

وجاء مختار إلى القاهرة سنة ١٩٠٢م، وعاش في أحيائها القديمة في بيئة كانت تجمعها تقاليد الحارة مهما تفاوتت مستويات السكان ومراكزهم، فخالط التلاميذ وأصحاب المتاجر والصناع واندمج في هذه البيئة الشعبية الصميمة تحوطه في هذا الحي روائع القاهرة الإسلامية وفنونها العريقة وتبهره مآذنها وجوامعها، تعلم من جو الحي أكثر مما تعلم من مدارسه وعاش يرسم انعكاس هذا الجو على الورق دون أن يدرك من أمر مصيره شيئاً فقد كان يعلم أنه حينئذ غريباً عن القاهرة!.

آمال الخيال

ولما كانت روح البعث والانشاء يقظة أنشئت الجامعة المصرية وافتتحت مدرسة الفنون الجميلة بحي درب الجماميز سنة ١٩٠٨م ولم يكد يعلم مختار بأمر هذه المدرسة التي كانت على مقربة من منزله، حتى أدرك أنها طريق حياته ومستقبله، كذلك أدرك أساتذته أنهم ازاء موهبة فذة فأحاطوه بتشجيعهم ورعايتهم ومن بداية الطريق كان يعيش مختار في حلم كبير وكان يصوغ هذا الحلم شعرا فيقول فيه:-

أعلل نفسي بالمعالي تخيلاً
فياليت آمال الخيال تكون
سأرفع يوماً للفنون لواءها
ويبقى لذاكرها بمصر رنين

وتظل هذه الكلمات شعار حياته..

يدخل بها باريس ويطرق أبواب مدرستها العتيدة سنة ١٩١١م فيكون أول الفائزين في مسابقة القبول.. ثم لا تمضي سنوات حتى يطرق باب معرضها الفني «صالون الفنانين الفرنسيين» بتمثاله عايدة سنة ١٩١٣م فيكون أول أثر فني مصري يعرض في المعارض الخارجية.

ويطلب إليه في ذلك الوقت وكان في سن الثانية والعشرين أن يعود لبلاده ناظراً لمدرسة الفنون الجميلة مكان أستاذه "لابلاني" فيرفض برغم إغراء المنصب لأنه مازال في بداية الطريق، ولأنه اختط بنفسه أملاً تضيق عنه قيود المناصب .. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى يدعى إلى منصب آخر، منصب مدير متحف جريفين ببارس فيقبل هذا المنصب باعتباره خطوة في طريق إعداده ووسيلة تعينه على استكمال تكوينه، ولأنه يرى في دعوته مصدر فخر له ولبلاده، ولكنه يترك هذا المنصب لأنه يرى أنه يصرفه عن رسالته ولأن فكرة تمثال نهضة مصر كانت قد أخذت تستحوذ عليه وتشغل فكره، وقد مرت به في باريس أيام من الضيق والعوز ولكنه تغلب عليها بإرادته وشجاعة نفسه، عمل في مصانع الذخيرة في أثناء الحرب العالمية بعد أن انقطعت موارده وظل يحفظ لفنه أوقات فراغه حتى انتهت الحرب وفتحت المعارض أبوابها فحمل تمثاله "نهضة مصر" إلى معرض الفنانين الفرنسيين سنة ١٩٢٠م فرأى فيه نقاد الفن أول شعاع تنبثق منه نهضة الفن المصري.

نهضة مصر

ويعود مختار إلى مصر بطلاً من أبطال نهضة مصر وتبعث عودته في نفس مواطنيه احساساً بالثقة وبالعزة فتمثاله رمز لنهضة مصر وعلامة من علامات الثورة والبعث .. فهو أول أثر فني يقيمه مصري، ويقيمه في عهد السلاطين، ولكنه لا يرمز للنهضة بالحاكم وإنما يرمز لها بالشعب ويجعل الفلاحة في الميدان العام رمزاً لمصر.

وتصاحب عودة مختار حماسة شعبية تنعكس في حركة الاكتتاب لإقامة التمثال ويرتبط الفن بالقومية غير أنه وإن لقي التأييد الشعبي ومعاونة الحكومة في مراحل انجاز تمثاله، فإنه لقي أيضاً مقاومة بعض الأشخاص الرسميين، ولكن إرادته تقتحم العقبات التي أقيمت في سبيله ويقام تمثال نهضة مصر ويزاح عنه الستار في عام ١٩٢٨م.

لقد كان مختار صاحب دعوة ورائد طريق.. لا يقف عند حد آثاره الفنية، فبينما يمضي إبداعه الفني في خطه الذي كانت نهضة مصر بدايته فإنه يمد جهوده إلى ميادين أخرى .. ميادين الدعوة إلى الفن وإنشاء المؤسسات الفنية التي تتطلبها النهضة الجديدة، وإقرار مكانة الفن في المجتمع، وهو يؤمن كرائد للفن في بلاده بوجوب بعث محفزات تُخرج المهتمين وأولى الأمر من طور الإعتراض إلى طور الاهتمام، ليقيموا للنهضة الفنية دعائمها فيستعين في دعوته بالحوافز التاريخية من ماضي مصر وبالحوافز الإجتماعية من حيث أثر الفن في الارتفاع بذوق المجتمع، وظل ينادي بوجوب إقامة المدارس الفنية وإنشاء المتاحف وجمعيات الفنون والعناية بالبعثات وكان حريصاً على أن يوفر للفنان المصري الجو الحر الذي يتيح له أن يعبر بشجاعة عن فنه ورأيه دون أن يخضع لقيد أو سلطان غير ضميره الفني.

لقد استطاع بشجاعة نفسه واعتداده بكرامته وصلابة إرادته أن يضع نظرة التقدير الاجتماعي للفنان منذ البدء في مكانها الصحيح، كما استطاع أن يمد الفن التشكيلي إلى كثير من مظاهر الحياة، إلى الصحيفة وإلى المسرح وإلى المصنع والمبنى الحكومي وأن يسري بالفن في مسالك الحياة اليومية.

ويرجع الفضل لمختار في إيجاد جهاز مختص بالفنون الجميلة بالدولة وإلى جهوده يرجع فضل بدء البعثات الرسمية في الفن وتخصيص اعتمادات في ميزانية الدولة للفنون، وإليه يعود تنظيم مدرسة الفنون الجميلة العليا وانشاء الجمعيات الفنية وإقامة المعارض الدورية فهو الذي بث معالم الفن في حياتنا القومية، وبرغم الحاح الظروف في أن يكون مختار على رأس مناصب الفن الرسمية في بلاده واغراء العروض لتولي مناصب فنيه في الخارج فإنه كان يؤمن بأن السلطة هي قبر الموهبة وأن الوظيفة قيد على حرية الفنان فرفضها جميعاً، برغم ما كان يمر بحياته من ظروف عصيبة وآثر أن يكون له سلطة الرأي عن أن يكون له سلطة المراكز.

لقد آمن مختار دائماً أن له دوراً كبيراً إلى جانب دوره الرائد.. وهو دور الإبداع الفني بالرغم من كثرة شواغله في الانشاء والاعداد للحركة الفنية، لم ينصرف عن الإبداع الفني ولم يقنع بالنجاح الذي أحرزه في معارض باريس.. ولم يكتف بما أحاطه من تقدير.. كانت آماله دائماً أكبر من خطاه وكلما حقق شيئاً ضاعف المسير، وبذلك أقام الدليل على قدرة الفنان المصري في أن يعيش وينتج كاكبر أساتذة الفن دون أن يعتمد على ثروة أو منصب وهذا درس عميق من حياة مختار ألقاه في مطلع الحركة الفنية، فقد كان مختار يعيش بالمعاني الباقية من شخصه وبالمثل الذي قدمه كرائد من رواد نهضتنا وبالأعمال الجليلة التي حققها للحركة الفنية والدعائم التي أقامها من أجل الفنانين والمعارك التي خاضها ليمهد لهم الطريق.

معجزة مختار

إن فنه الذي اختصه بأثمن هبات حياته والذي اعتصر فيه نبضات قلبه هو الذي جعل منه رائد النحت المصري المعاصر.. وسجل اسمه بين كبار مثالي العالم، وبرغم أن مختار ظهر بعد أجيال من الصمت الفني فإن فنه يشير إلى عراقة الاستمرار وإلى وحدة الفن المصري عبرتاريخه، فقد تجمعت في أعماقه خلاصة تقاليد مصر وكان الوريث لحضارتها الفنية، تلقاها فانصهرت في نفسه مع تجارب الفن الحديث.

ومختار رغم قصر عمره الفني فقد ترك لنا تراثاً ضخماً من تماثيل الميدان «نهضة مصر» وتمثالي «سعد زغلول» ومن حياة القرية قصائد منحوتة صاغ منها أحزانها وأفراحها ومشاعرها ورفع أحداث حياتها اليومية إلى قمة التعبير الفني.. ومعجزة مختار في فنه تتمثل في قدرته على التعبير في أعماله عن شخصية بلده .. وفي إبداع أسلوب فني خاص به، برغم تيارات العصر المتعارضة وبرغم انقطاع تجربة مصر في النحت لآلاف السنين، وبرغم ضجة المذاهب الفنية في عصره... استطاع أن يعصم نفسه من الانسياق وراء بريقها فعاد إلى تقاليد بلاده الفنية في عصورها المختلفة ولم يغفل في نفس الوقت تجارب الفن الحديث ولكن تأملها بإدراك ووعي ثم ربط بينها وبين التراث، وترك لحساسيته حرية التعبير بلغته الخاصة.

نلمح الفلاحة في فن مختار وهي ترتفع من قمة الأعمال الفرنسية وحركتها ومن التسجيل الواقعي العابر لتحقق في نهاية المطاف بلاغة الصمت وإحساس السكينة الرائعة والشعور بالاستمرار، وهي تكشف عن الجمال الداخلي الذي اكتسبه مختار من تأمل فن بلاده القديم ويبدو فيها ترديد منغم للخطوط والمسطحات مع تعبير بنائي يضفي على هذه المنحوتات الصغيرة سمات النحت الكبير، نلمح هذا التطور في موضوعه، الأصلي «الفلاحة والجرة».. فنراها في أول صورها تنبض بالرشاقة والحركة والعناية بالدقائق والتفاصيل فتذكرنا بالنحت الفرنسي في الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر حين كان يصور الجانب الواقعي من حياة الفلاحة بأسلوب يجمع الحيوية والرشاقة ولكن طول تأمله لفن بلاده أيقظ في نفسه الإحساس بالجمال ونمى عنده مقدرة التحليل والتركيز فتوالت تماثيل الفلاحة والجرة مرة في خطوط منحنية تعبر عن الدلال والليونة في تمثال «نحو ماء النيل» وتردد ايقاعاً موسيقياً رائعاً كأنها نغم يوقعه النهر في لحن تشكيلي هامس، ومرة في انحناءة مستديرة يتمثل فيها حاسة التكوين البنائي وتبسيط الكتلة مع انسياب الخطوط في تمثال «الفلاحة ترفع الماء»، وتحدد النسب والأبعاد ونقط التقابل على نحو يحقق أقصى ممكنات الايقاع التشكيلي، وينحت تمثال «على شاطئ النيل» فلاحة تصلح رمزاً لشعب بأسره في خطوطها وحدة متناسقة تحقق التوازن البنائي للتمثال ففي يدها التي تسند الجرة ويدها الأخرى التي تضعها في شاعرية تشكيلية على صدرها ايقاع يتردد مع باقي خطوط التمثال ومسطحاته وفي استعمال الخط المستقيم وما يدخله عليه من تكسير فيتحول إلى براعه تدل على نضوج الفكر الفني.. أما الخطوط الخلفية للتمثال وتقابلها وابتعادها واستخدام التجريد واستيعاب لتجارب الفن الحديث دون اعتناق شعاراته ودون التقيد بأي اتجاه وهي ظاهرة واضحة في فن مختار فهو يستوعب تجارب الفن الحديث ويستخلص منها ما يتفق وإحساسه الفني ثم يصوغ ذلك في حبكة بنائية محكمة، ومرة أخرى يبدو التكوين البنائي وموسيقية الخط في مجموعته «العودة من النهر» وما أودعه داخل إطار وحدتها التشكيلية من تفاوت في الحركة والايقاع جعلها تبدو كمقاطع من النغم المنحوت.

إن تمثال مختار في كل مكان ستظل تشهد بعظمة هذا الفنان وعبقريته .. بل وتردد ما كان يردده مختار بنفسه ويحلم به!.

أعلل نفسي بالمعالي تخيلاً
فياليت آمال الخيال تكون
سأرفع يوماً للفنون لواءها
ويبقى لذاكرها بمصر رنين